بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حادثة تسلل الجيش النصيري على محور التفاحية بجبل الأكراد ومحور عين عيسى بجبل التركمان بتاريخ ٢٣-١١-٢٠١٦

أرشيف معارك وشهداء الساحل السوري

إعداد :

أبو إبراهيم الشامي

بعد الانسحاب من المحاور القديمة في جبال الساحل بداية ٢٠١٦ وتمركُز رباط المجاهدين في المحاور الجديدة ،بدأ الجيش النصيري حملةً عسكرية جديدة على جبلي الأكراد والتركمان للسيطرة على ما تبقى من جبال الساحل ، فكان الجيش يشن حملات عسكرية متفرقة ومكثفة ليرى نقاط ضعف المجاهدين ..

ففي فجر يوم الأربعاء الموافق لـ ٢٣-١١-٢٠١٦ تسللت عدة مجموعات على نقاط رباط المجاهدين في جبل التفاحية بجبل الأكراد ومحورعين عيسى بجبل التركمان، و قامت بعمل نوعي أدى لاستشهاد خمسة عشرة شهيداً في المحورين سبعةً منهم في محور التفاحية وثمانية في محور عين عيسى ...

وتفاصيل هذا التسلل على النحو التالي :

محور التفاحية:

في تلك الأيام كانت الأمور تجري على ما يرام في محور جبل التفاحية، ولم يكن هناك أي تحركات مشبوهة للجيش ،وكان رباط المجاهدين في جبل التفاحية منتشرعلى طول الجبل وكانت بعض النقاط متقدمة وبعضها متأخر بحسب تضاريس المنطقة بالإضافة لوجود محارس تسمى بمحارس الكمين وهي محارس متقدمة عن المحارس الأساسية تحميها من أي تقدم وهي بمثابة كمين مفاجأ للجيش في حال تقدم من هذه النقطة وتكون بمثابة إنذار مبكر لباقي المحارس..

شاهد على تلك الواقعة:

يقول أحد المرابطين ممن شهدوا تلك العملية: في تلك الليلة كنا خمسة عشرة مرابطاً خمسة منا لرباط النهار وهؤلاء كانوا موجودين في مقر قريب من جبل التفاحية ،والعشرة الباقين وكنت منهم لرباط الليل في ذلك المحرس ونحن العشرة خمسة منا خرجوا للرباط في المحرس وخمسة ناموا في مغارة صغيرة بالقرب من ذلك المحرس ولم تكن تبعد تلك المغارة سوى مئة وخمسين متراً أو

أقل..

عند الساعة الخامسة فجراً انتهت نوبة رباطنا نحن الخمسة فنزل منا ثلاثةً وكنت بينهم إلى المغارة لتبديل الرباط ،وبقي اثنان ممن كانوا معي في النوبة لتحصين النقطة، ثم خرج الخمسة الذين كانوا في المغارة لتبديلنا فصار عددهم في المحرس سبعة خمسة للرباط واثنان من نوبتي بقوا معهم للتحصين، ونزلنا نحن الثلاثة للاستراحة في المغارة القريبة من المحرس ،اثنان من رفاقي ناموا فور وصولهم للمغارة من شدة نعسهم وبقيت أنا صاحياً وكأن النوم قد ذهب من عيوني في تلك الليلة..

وعند الساعة الخامسة والنصف فجراً والنهار لم يظهر بعد ،ترك مرابطي محرس الكمين المتقدم) وهوغير محرسنا السابق (محرسهم وقد جاؤوا للمغارة فرأوني مستيقظاً وأخبروني بخروجهم من المحرس بعد أن تأكدوا من أنه لا يوجد اي تحركات للجيش في المنطقة ، لكنه من المفترض أن لا يتركوا محرس الكمين حتى الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً، فرباطهم في محرس الكمين مؤقت من غروب الشمس إلى الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً فقط ، لأن هذا المحرس مكشوف على الجيش فلا يستطيعون الرباط فيه طوال اليوم..

ويتابع الشاهد قائلاً:

مع بداية طلوع الشمس وعند الساعة السادسة والنصف صباحاً سمعت رجلاً يتكلم مع آخر ويسب الله والعياذ بالله، فاستغربت كثيراً من ذلك وقلت في نفسي من يتجرأ على سب الله وخاصة في الرباط ،لكني لم أكترث لذلك ،وهذا خطأ.

في هذه اللحظات ارتفع الغطاء الذي يغطي باب المغارة فدخل ضوء النهار مصطحباً معه رجلاً ضخماً يلبس الزي العسكري وعلى رأسه خوذة ومعه بندقية كلينكوف القصيرة) تسمى عندنا بندقية بن لادن (ومكتوب على بدلته مغاوير البحرية ....

وعند رؤيتي لهذا المنظر فوجئت و تلعثم لساني وتربطت أطرافي ولم أعد قادراً على النطق ،ظننت أنني أحلم ولكنها حقيقة....!! فقد كان ضابطاً نصيرياً ومعه جنديٌ أخر يلبس لباساً مدنياً يقف خارج المغارة يراقب المنطقة ..
فقد رفع الضابط غطاء المغارة ونظر إليّ نظرات مخيفة فلم أستطع أن أتكلم..! حتى تكلم هو وقال لي بلهجته النصيرية :أين الشباب !!...ففكرت للحظة ماذا سأقول له ،فقلت له هم في الداخل . حينها كنت أشعر أنها نهايتي وأني سأقتل أو أأسر، فقد كان موقفاً صعباً جداً قد يفتنُ الرجل فيه.

ثم خرج ذلك الضابط ووقف على باب المغارة وصار ينظر يميناً وشمالا ،ثم يرجع فيرفع غطاء باب المغارة وينظر إلي ...

وفي هذا الوقت استيقظ واحد من الذين معي في المغارة واسمه يوسف ،فقلت له يا يوسف الجيش خارج المغارة..!! فأستهزئ بي ثم خرج وتكلم مع الضابط والجندي وسمعته يقول لهم اذهبوا وسنلحق بكم ..

"لا أدري لماذا لم يقتلنا الضابط أو يأخذنا أسرى ،هل غاب عن ذهنه قتلنا أم خاف من ذلك أم ماذا ...لا أعرف ،والذي أعرفه أن أجلي لم يكن في تلك اللحظة التي كان الموت أو الأسر فيها أقرب إلي من قلبي الذي في صدري بين أحشائي"

في هذه اللحظات أخذت سلاحي الذي لا يبعد عني سوى متر واحد فقط وابتدرت لأرميهم بالرصاص فسمعت صوت مشيهم فلم أرمي ،ثم دخل يوسف للمغارة وصار يسخر مني ويرميني بالجبن والخوف و أن هؤلاء مرابطي محرس الكمين ،مع هذه الكلمات شعرت أني أنا الذي كنت نائماً واستيقظت وكأن ذلك الشيء مثل الحلم ،ثم أيقظت الشاب الثاني فأخبرته بالخبر فلم يقتنع مني أيضاً وتحدث مثل ما تحدث يوسف ،بل وأقنعوني أن هؤلاء صديق لا عدو وأني خائف أو متوهم أو أني من شدة النعس تخيل لي ذلك ..
والذي خدعنا وخدع يوسف أننا لم نستطع أن نميز بين الصديق والعدو فاللباس كان واحداً والجندي كانت له لحية ويلبس لباساً مدنياً ونحن كذلك لنا لحى

وأكثرنا في ذلك الوقت كان يلبس اللباس المدني للرباط بدل الزي العسكري وهذا خطأ فادح...

ولربما يخطر على بال من يقرأ هذه الواقعة ،أنه كيف لم يميز يوسف وأصحابه جنود النظام عن المجاهدين ،فالجواب والله أعلم أن الحدث صار فجأةً، ولم يحدث هذا الأمر من قبل ،وقد كانوا في نعس وإرهاق بعد رباط الليل الطويل ، ويوسف قد استيقظ من نومه بعد بأقل من ساعتين والنوم القليل مع السهر الطويل والتعب يجعل الإنسان لا يدري ما يحدث حوله ولا يميز بين الأشياء ولربما يهذي ويقلب الحقائق ،بالإضافة لكون الضابط قد خدعه بالكلام مع شدة نعسه وزاد خداعهم بأن الجندي كان يلبس لباساً مدنياً وله لحية..

بعد أن أقنعني يوسف وصاحبه أن هؤلاء ليسوا أعداء ،قام يوسف وذهب باتجاه محرسنا وكان الضابط والجندي قد سبقوه للمحرس ذاته ،فرأى يوسف جمعاً من الجنود حوالي عشرين جندياً وقد حاصروا ذلك المحرس وفيه سبعة مجاهدين، كان ذلك موقفاً صعباً على يوسف فلم يكن متهيأً للقتال في تلك اللحظة ،فرجع مسرعاً باتجاه المغارة وهو ينادي بأعلى صوته الجيش سيطر على المحارس!!...

الأن صار الحلم حقيقة وما رأيته كان عدواً لا صديقاً...

وأما يوسف فقد أصيب إصابة طفيفة في أحد مخازن جعبته أثناء هربه ،لكنها لم تؤثر به .
وأما أنا فعند سماعي لصوت يوسف خرجت من المغارة ونظرت نحوالمحرس فرأيت عدداً من الجنود فانسحبت للوراء وقلت ليوسف اذهب للمحرس الذي فوقنا ليؤازرونا وأنا سأذهب وآتي بالشباب الخمسة الذي ذهبوا للمقر وكان من بين هؤلاء الخمسة أمير كتيبتنا فأخبرته بالخبر فاتصل على جوال فيصل طيبة وهو أحد السبعة المتواجدين في المحرس الذين حاصرهم الجيش وقال له :أين

وصل الجيش ماذا يحدث؟ فقال فيصل قد حاصرنا الجيش في المحرس ولا نستطيع الخروج منه. كانت تلك كلماته الأخيرة قبيل استشهاده ...

رواية أحد الناجين من المحرس المحاصر:

وأما عن السبعة الذين حاصرهم الجيش في المحرس فقد روى أحد الناجين ما حدث فقا ل: بعد خروج رباط الكمين فجراً خرج حسام وهو أحد المرابطين معنا لإحضار الطعام من المغارة ولم يرجع..

وبعد خروج حسام رأى أحد المرابطين جنود الجيش قريبين جداً من المحرس ، وقد تسللوا من جهة محرس الكمين فقال لهم من أنتم ،وكانوا يلبسون لباساً مدنياً، وهذا ما خدعه ...فقالوا له تعال إلينا نحن حرس معكم ،فأيقظ هذا الذي رأى الجيش نسيم حوسي وهو أحد السبعة وقال له ما رأه ،فقام من فوره فزعاً وقال هؤلاء جيش هؤلاء جيش ثم بدأ الاشتباك...

محاولات فك الحصار عن المرابطين في المحرس:

وبالرجوع إلى يوسف وصاحبه فقد تجمع معهم الخمسة الأخرين وبدؤوا بالتقدم باتجاه المحرس المحاصر وما إن تقدموا قليلاً حتى أصيب يوسف إصابة بليغة بطلقة في رقبته من الخلف خرجت من حنكه أثناء تبديله لمخزن سلاحه ، فاضطروا لسحبه والرجوع للوراء ..

وعند الساعة التاسعة صباحاً جاءت أول مؤازرة وهي عبارة عن عدد من المجاهدين من محارس أخرى ،فتقدمنا باتجاه المحرس المحاصر مرة ثانية وعند وصولنا للمغارة يعني قبل المحرس بمئة متر أو أكثر استشهد أحد المجاهدين فسحبناه وما لبثنا كثيراً حتى استشهد الآخر فسحبناه وتراجعنا للخلف ولم نحرز أي تقدم ..

وبقي الحال على هذا والجيش محاصر للمحرس ويضربه بالرصاص والقنابل وصواريخ اللاو إلى الظهر تقريباً، حتى وصلت مؤازرة كبيرة قد أرسلتها قيادة الفرقة الأولى ساحلية ،وقد خطط أمير المؤازرة على أن نقتحم المحرس من ثلاث جهات من فوقه وتحته ومن طريق المغارة ،وهكذا بدأنا بالتقدم والضغط

على الجيش من كل الجهات فكان الرصاص يأتيهم من كل جانب ،فبدؤوا بالانسحاب للوراء وبدء القصف الشديد ينهال علينا ،حتى وصل أحد المجاهدين للمحرس المحاصر فظهر أمامه فجأةً جندي في الخندق فصرخ المجاهد في وجهه فسَّلم الجندي نفسه واستطاع المجاهد أسره ،ثم دخلنا للمحرس وكان الأوان قد فات فقد قاتل المرابطون بشجاعة حتى استشهد منهم خمسة واستطاع اثنان منهم الانسحاب ورووا لنا ما حدث وقد صار الوقت بعد العصر.

أسر حسام وهو أحد المرابطين:

بعد أسر ذلك الجندي النجس أقر بأن حسام الذي خرج ليحضر الطعام قد تفاجئ بالجيش أمامه فاستطاعوا أسره، والظاهر أنهم لم يريدوا قتله وأرادوا أن يأخذوه أسيراً، لكن بعد ضغط المجاهدين عليهم انسحبوا ولم يستطيعوا أخذه معهم فقتلوه قاتلهم الله..

يقول أحد الإثنين الناجين من الحصار:

في بداية الأمر ذهب حسام ولم يرجع ولم نعرف ماحصل له فبقينا ستة ،وبعد أن عرفنا بتسلل الجيش ومع بداية الاشتباك قتل أحد الستة الباقين واسمه نسيم حوسي تقبله الله فبقينا خمسة ثم أصيب بعده شاب اسمه إبراهيم ياسين في قدمه فلم يستطع الوقوف وبقي جالساً يعبئ لنا الذخيرة في المخازن ،وهكذا بقينا نحن الأربعة نشتبك مع الجيش حتى نفذت ذخيرتنا في وقت الظهر تقريباً، ولم يكن لدينا أنذاك سوى ما نحمله في جعبنا فكل واحد منا معه خمسة مخازن فقط ولم يكن لدينا قنابل دفاعية إلا نسيم حوسي فقد كان لديه قنبلتان والله أعلم..
وبعد نفاذ الذخيرة لم نعد نعرف ماذا سنفعل ونحن أربعة والخامس مصاب لا نستطيع فعل شيء له ،فقد كان الوضع مأساوياً ولا ملجأ من الله إلا إليه ..

المشاورة والإختلاف في الانسحاب:

فتشارونا فيما بيننا فذهب كل اثنين من طريق ،فانسحبت أنا وشخص أخر باتجاه المحرس الذي فوقنا والمصيبة أن هذا المحرس كان فارغ ليس فيه أحد

فقد انسحبوا مع بداية الاشتباك مع أن ذلك المحرس أعلى من محرسنا فقد كان باستطاعتهم التصدي للجيش ومقاومته ولو قاوموا وصمدوا لما حوصرنا والله أعلم. وأما الإثنين الأخرين فقد خالفونا الرأي وانسحبوا باتجاه أخر فاستطاع الجيش قتلهم ،ثم استطاع الجيش الوصول للمحرس وقتل إبراهيم ياسين تقبله الله.

كانت حصيلة الشهداء سبعة نسيم حوسي قتل أول الاشتباك وإبراهيم ياسين قتل بعد أن أسر وهو مصاب داخل المحرس وحسام قتل بعد أن أسروه وفيصل طيبة وأبو محمد عدنان قتلوا أثناء خروجهم من المحرس وانسحابهم واثنان قتلوا أثناء محاولة فك الحصار عن ذلك المحرس..

كانت يوماً عصيباً لم ينسى..

تفاصيل تسلل الجيش على محور عين عيسى بجبل التركمان:

محور عين عيسى محور كبير يرابط فيه في تلك الأيام المهاجرين المغاربة المتمثلين بحركة شام الإسلام والمهاجرين التركستان المتمثلين بالحزب الإسلامي التركستاني و جيش التحرير والفرقة الثانية الساحلية..

قبل التسلل بيوم واحد:

في فجر يوم الثلاثاء وقبل تسلل الجيش على عين عيسى بيوم واحد فقط ذهب أبو يحيى البيضاوي ومجاهد مغربي آخر إلى محارس التركستان القريبة من محارس المغاربة فرأوا محرساً مهماً ليس فيه رباط فنبهوا التركستان على ضرورة الرباط وخاصة وقت الفجر ففي هذا الوقت يقتحم الجيش وينفذ عملياته، المهم أن التركستان كأنهم لم يلقوا بالاً لكلامهم وكأن الأمر ليس بتلك الأهمية..

يوم التسلل:

شاهد على تلك الواقعة:

في فجر يوم الأربعاء الواقع في ٢٣-١١-٢٠١٦ تسللت مجموعة من الجيش النصيري نحو محارس الصراف القريبة من محارس عين عيسى، وبفضل الله انتبه لهم المرابطون وردوهم على أعقابهم..

في هذا الوقت كانت نوبة رباطي في محرس المغاربة بعين عيسى، ومع ظهور ضوء النهار انتهت النوبة مع أبي يحيى البيضاوي المغربي، فنزلنا للمنامة مكان الاستراحة لنرتاح ولنأكل الطعام، وما أن انتهينا من الأكل حتى سمعنا صوت طلقتين، فخرجت أنا وأبا يحيى ومجاهد ثالث إلى الخارج لنرى ما يحدث ومن أين مصدر هذه الطلقات.

ثم ذهبنا أنا وأبا يحيى إلى محارس التركستان لنرى ما الخبر، فقلنا لهم أرسلوا أحدكم إلى المحرس، فأرسلوا أحدهم فتفاجئ بالجيش وقد سيطر على محرسهم فاشتبك معهم حتى قتل تقبله الله..

وأما أبا يحيى فقد كان واقفاً بجانبي قبل معرفتنا بتسلل الجيش وكننا ننظر إلى مصدر الطلقتين، فجاءته طلقة أردته قتيلاً من فوره فقلت له هنيئاً لك، ثم اختبأت وتمركزت لأرى من أين مصدر الرصاص.

في هذه الأثناء كان الجيش النصيري قد تسلل على محرس التركستان وسيطر عليه، وهذا المحرس يطل بشكل مباشر على استراحات محارس المغاربة فاستراحات المغاربة تحته..

ينبغي أن يكون هناك تنسيق على مستوى عالٍ بين المحارس.

سيطرة الجيش على عدة محارس في عين عيسى:

ثم أكمل الجيش سيطرته على محارس جيش التحرير فقد اشتبك معهم في محرسهم الواقع بجانب محرس التركستان فاستشهد معهم اثنين أثناء الاشتباك فاضطروا للإنسحاب، وكذلك انسحبت الفرقة الثانية من محارسها فقد صار الجيش بجانبهم ومن فوقهم، وهكذا سيطر الجيش على ثلاث محارس للمجاهدين ووصل إلى الطريق العام لعين عيسى وضيق الخناق على محارس واستراحات المغاربة والتي صارت تحت الجيش، فكانت تأتيهم رمايات الجيش من فوقهم ومن خاصرتهم وكذلك كثف الجيش قصفه على قرية عين عيسى وطريق الإمداد مما اضطرهم للانسحاب من نقطتهم باتجاه الوديان، وبهذا فلم يبقى في محور عين عيسى مع المجاهدين إلا محرس أعلى قمة الجبل الذي يرابط فيه التركستان.

وأثناء الاشتباك استيقظ أبو المعتصم المغربي فقد كان نائماً في الاستراحة، فخرج منها ليرى ما يحدث ولم يكن يعرف ما يحصل في الخارج أبداً وقد كان كبير السن وحركته ثقيلة، فتوقف أمام باب الاستراحة فنظر يميناً وشمالاً فجاءته رصاصة استقرت في قلبه فاستشهد..

كان عنصر المفاجأة مهم جداً في سقوط المحارس. .

صمود وثبات التركستان في محرس القمة:

بعد سيطرة الجيش النصيري على أكثر من ثلاث محارس، كثف الجيش رماياته وقصفه باتجاه محرس القمة للتركستان، وحاول اقتحامه لكنه فشل، ولو قدر الله أن هذا المحرس سقط لسقط محور عين عيسى بأكمله فقد كان محرساً عالياً، وقد ثبت التركستان فيه ثبات شديد. وكونه محرساً فوق تلك المحارس التي أخذها الجيش كان ذلك سبباً في تقهقر الجيش وتراجعه فلا مصلحة لديه أن يكون المجاهدون أعلى منه..

محاولة الجيش اللإلتفاف على محرس التركستان:

بعد فشلهم في مواجهة محرس القمة للتركستان حاول الجيش النصيري اللإلتفاف على محرس التركستان بأن يأتيهم من خنادقهم ومن جهة محرس كتيبة أحرار جبلة ولكنهم بفضل الله استطاعوا رده وتكبيده الكثير من الخسائر فقد انفجر في مجموعة من الجيش لغم وثاب قتل منهم سبعة وأصيب عدد آخر، وقد استشهد أثناء الاشتباك مجاهد من كتيبة أحرار جبلة.

ترتيب الصفوف وإعادة الكرة:

وبعد عصر ذلك اليوم رتب المجاهدون صفوفهم وأعادوا الكرة على الجيش النصيري في المحارس التي استطاع أخذها، وما هي إلا سويعات قليلة حتى استرد المجاهدون محارسهم وأعلنوا عين عيسى كلها صديق والحمدلله.

وقد استشهد في هذه الواقعة ثمانية مجاهدين ثلاثة من التركستان واثنان من المغاربة واثنان من جيش التحرير ومن أحرار جبلة شهيد واحد. وقد أصيب عدد قليل من المجاهدين، بينما قتل حوالي خمسةً وعشرين نصيرياً ولله الحمد..

ومما يذكر أن الجيش النصيري قد حاول اقتحام عين عيسى مرة أخرى في نفس اليوم من السنة التي بعدها أي في عام ٢٠١٧

نصائح عامة وأخطاء يقع بها كثير من المجاهدين يجب تجنبها:

- لا يجوز ترك المحرس فارغ لتبديل رباط أو لطعام وشراب ونحوه.
- يجب أخذ الحذر عند تبديل نوبات الرباط وخاصة وقت الفجر.
- يجب على المجاهد أن يكون مستعداً دائماً لعنصر المفاجئة.
- ينبغي على المرابط وقت الفجر خاصة أن يراقب الأحراش من حوله.
- يجب على المجاهد أن يتزود في بالقنابل فهي عامل رئيسي للدفاع.
- يجب وضع كمية من الذخيرة داخل المحرس في حال حدث حصار له.
- تفقد نظافة وتذخير الرشاشات والهاونات المعدة للتغطية النارية.
- تجديد أسماء المحرس كل فترة مهم جداً.
- يفضل أن يتيسر في المحرس قبضة تنصت على الجيش لتعلم تحركاته.
- اللباس العسكري مهم جداً فلا ينبغي التهاون فيه.
- لا يجوز في المحرس التشبه بالجيش باللباس والشكل.
- عدد المرابطين يجب أن يكون كاملاً غير ناقص ولو واحد.
- يجب تشديد الحرس في أوقات احتمالية تقدم الجيش وخاصة فجراً.
- يجب أن يجعل أبواب حديدية للمغارات.
- ينبغي على المجاهد أن يكون على دراية بالمنطقة التي يرابط فيها.
- الزيارات الدورية بين المحارس القريبة من بعضها أمر مهم.
- التواصل بين المحارس مهم جداً جداً، وينبغي تقليل الكلام في القبضات.
- أي تحرك أو إشكال يقع في المحرس يجب التنبه له وعدم إهماله.
- عند الذهاب لمحرس أخر يجب أخذ السلاح معك وإخبار أصحابك.
- الإكثار من الكلام داخل المحرس يشتت الانتباه ويمنع من السمع.
- الجديد في الرباط ينبغي تعليمه والأخذ بالحسبان منه لأنه جديد.
- ينبغي على المرابط أن يعرف من يرابط بجانبه من المحارس.
- التقليل من استخدام الجوال وخاصة في الرباط.

أرشيف معارك وشهداء الساحل السوري